



حرب الفيتنام و«الهيبي»...

... وطراز الحياة الأميركي ! بقلم أرنولد توينبي

هذه «الطمأنينة الكاذبة» ؟

— نعم . فبصفتي مؤرخا ، اعرف ثم هي قصيرة فترات التوازن في صيرورة المجتمعات البشرية . ان تاكل القلق مرتبط ارتباطا وثيقا بالانسان . ولقد كان الاميريكيون يعتقدون بأن الولايات المتحدة كانت الجنة على الأرض . اما انا ، فلم اعتقد يوما بأن أي مجتمع بشري كان او يمكن ان يكون جنة . وكان لا بد من توقع انهيار الحلم ، عاجلا أم آجلا .

— هل هذا شر ؟

— بالطبع لا . بل هو خطأ ان يعيش المرء في الوهم . لقد كانت أميركا مفرطة الثقة بنفسها . وها هي الآن في طريق الشفاء .

— هل استطعت ان تلاحظ علامات اخرى مشجعة في الولايات المتحدة ؟

— لقد شاهدنا نموا وازديادا للروح النقدية . وهذا بلا ريب شيء جيد . وكذلك حدث تغير في سلوك الجيل الطالع . وانا لا اقصد هنا فقط اصحاب الحركة «الهيبي» . فليس هذا الا الناحية المسرحية من الامر ، العشر الطافي من جبل الثلج . وانما اقصد جموع هذا الجيل الذي يعطي الدليل على وعي حقيقي جاد .

لقد التقيت في ستانفورد عددا من الطلبة لا يتميزون بشيء عن الاخرين في سلوكهم او في ملابسهم ، ولكن بينهم وبين طراز حياتهم الخاص ومثل آبائهم العليا انفصاما تاما . انهم لا يظهرون هذه الثورة بمثل العنف الذي تظهر به لدى المتطرفين ، ولكن الانفصام بارز واضح . وكنت قد سمعت حديثا طويلا عن منافسة ضارية كانت تقوم بين الطلاب للاجابة على طلبات الاستخدام التي كانت الشركات الكبرى تعرضها . اما اليوم ، فحين ترسل هذه الشركات نفسها ممثلها الى الجامعات ، فان هذه الجامعات تجد اشد الصعوبات للعثور على مرشحين للوظائف المعروضة . فاذا كان هذا صحيحا ، فاني أجرؤ على القول بأن هذا حدث هام — بل دراماتيكي . تريدون مثلا ؟ لقد عرفت شابا كانت أسرته تشغل

ادلى المؤرخ البريطاني الكبير ارنولد توينبي بحديث الى مراسل «لايف» في لندن تناول فيه الحياة في الولايات المتحدة ، سياسيا وعسكريا واجتماعيا . وتقدم «الاداب» ترجمة كاملة لهذا الحديث .

— هل لك ان تحدثنا ، يا سيد توينبي ، عما تغير — في رأيك — اكبر التغير في الولايات المتحدة ، في هذه السنوات الاخيرة ؟

— في رأيي انه قد حدث من التغيرات في الاشهر الاربعة والعشرين الاخيرة اكثر مما حدث في الاربعة عشر سنة السابقة . لم اكن قد عدت الى الولايات المتحدة منذ عام ١٩٦٥ . ومنذ عامين ، كان الناس الذين بلغوا سننا معينة يعتقدون انفسهم غير قابلين للجرح او للاقتلاع . كان بإمكان أميركا ان تتخطى العقبة الفيتنامية في سيرها ، كاية عقبة اخرى . كان طراز الحياة الاميركية هو النموذج ، وهو مقياس المستقبل . وبقدر ما يمضي وينتشر ، كان سيائر العالم يقتبس من مثال الولايات المتحدة ، في حدود امكاناته ، وكان الامر كذلك حقا .

اما التغير الآن ، فهو جذري . صحيح ان الرأي العام ما يزال متوزعا بين الصقور والحمام ، ولكن الفريقين كليهما ، بلا استثناء ، قلقان مضطربان . لقد اهتزت أميركا ، في هاتين السنتين الاخيرتين ، اهتزازا عنيفا ، من الداخل ومن الخارج . ان رجل الشارع مستاء ، شقي . والشبان ثائرون ، بكل صراحة وتبصر ، على الذين يكبرونهم في السن ، وقد كانت الاضطرابات الفاجعة التي تعرفونها ضربة شديدة بالنسبة لاصدقائي من الاميريكيين ، اشق على الاحتمال من حرب الفيتنام . ان انفجار العنف قد ضربهم كطلقة مسدس . ذلك انهم اصيبوا من ذلك اصابة مباشرة صميمية . ان هذا النوع من الاحداث كان يكون غير معقول ، ليس فقط عام ١٩٦٥ ، بل حتى عام ١٩٦٥ ، بهذه الدرجة على الاقل . لقد عاشت أميركا ، طوال سنوات ، في طمأنينة كاذبة ، في رضى خادع ، وهذا كله هو الذي ينهار اليوم .

— هل كنت قد لاحظت ، في زيارتك السابقة ،

مركزا هاما في الحياة التجارية بلوس انجلوس . وقد تخلى عن كل مطامعه في حرم الجامعة . ولم يستطع ذووه ان يفهموا كيف استطاع ان يفضل حياة اخرى على المركز اللامع الذي كان يفتح امامه . انهم لا يقرون ان يتخلى عن المال وعن كل ما يتبع ذلك ، ولكن الواقع انه انما كان يرفض ان يجعل من المال هدف حياته .

وعرفت طالبا آخر من جامعة «غرينيل» في الايوا، كان يرغب في ان يصبح طبيبا ، ولكنه لم يكن يقر الروح التي تسود المهنة في الولايات المتحدة . ان من الطبيعي ان يكسب الطبيب حياته كأي شخص اخر ، ولكنه انما يدفع له اجر لان مهنته نافعة للانسانية . غير ان اطباء الاميركيين قد فقدوا هذه الفكرة الى حد كبير : فالمال هو هدفهم الاوحد في الحياة . هذا ، على الاقل ، ما كان يبدو لهذا الشاب . ولهذا ، فقد اراد أن يبدأ بعشاء عامين في الهند ، في فريه هندية ، يقدم فيها للسكان ابسط انواع العناية الطبية . رسين ينهي دراسته ، فان في نيته ان يعمل في مستشفى بدلا من ان «يربي الزبائن» . ان الشبان الاميركيين يستفظعون القيم التي يؤمن بها ذووهم . ربما كانت كلمة يستفظعون اقوى مما ينبغي . فلنستبدلها بـ «ينفرون» من هذه القيم .

ان مما يلفت النظر ان نلاحظ الى اي حد قصرن فترة ما سموه بـ «طراز الحياة الاميركية» بخصائصه المميزة : حضارة المدن الكبرى بكل ما تقدمه من التيسيرات، من الكهرباء الى التلفزيون ، الى التلفزيون ، وكذلك السى التمييز الطبقي . والحق انه لا حاجة الى حكا اكثر من جيلين او ثلاثة لنجد تحت جلد «رجل الاعمال» الذي يرمز الى طراز الحياة الاميركية ، جده «الفلاح القروي» . - لقد ذكرت منذ قليل الاضطرابات في الولايات المتحدة . هل بإمكاننا ان نصفها حقا بانها اضطرابات عنصرية ، ام انها اكثر شبيها بالاضطرابات الاجتماعية ؟

- انكم ، انتم الاميركيين ، تفضلون ان تروا فيها شيئا اخر يختلف عن الاضطرابات العنصرية . والحقيقة انها كذلك ، في التحليل الاخير ، ولكن الامر يتعدى ان تكون فحسب مسألة عنصرية . فاذا ولدت اسود فسي الولايات المتحدة ، فان نصيبك من الحلوى هو ، في البدء ، اقل . ومن الممكن جدا ان تكون واحدا من هذه الـ ١٠ الى ٢٠ بالمئة من الاميركيين الذين لم يبلقوا مستوى «طراز الحياة الاميركي» . وان يكون المرء فقيرا فسي الولايات المتحدة اسوأ من ان يكونه في أي مكان اخر . انه لشيء فظيع ان لا يكون الانسان «مشاركا» في الولايات المتحدة ، وهذا افظع من أي مكان اخر كالهند مثلا حيث معظم السكان «غير مشاركين» . وان يكون المرء جزءا من اقلية محرومة لا يحق لها ان تدلي برأيها الا بواسطة العنف ، فتلك أبأس طرق الفقر وأبعثها على اليأس .

ان المشكلة العنصرية في الولايات المتحدة هي اليوم مشكلة فاجعة ، ما دام المثل الاعلى للدمج بوسائل لاعنفية

- وهو المثل الذي يجسده امثال مارتن لوثر كنج - يتقهقر امام المثل الاعلى العنفي الذي يبينه داخل المجتمع مجتمع مضاد . وهذا قد يؤدي الى نوع من الحرب الاهلية الموضوعية في كبريات المدن الاميركية اذ تعتمد المجتمعات المضادة السوداء الى بناء حضارتها الخاصة وطراز حياتها الخاص . وذلك هو ، يحظر الذي يتهدد اميركا .

- ولكن ما الذي آل اليه المثل الاعلى التحرري الاميركي ؟ امن المستحيل ان نصل (ولو ببعض الآلام) الى مجتمع مندمج تعيش فيه الاجناس جنبا الى جنبا ، متمزجة ؟

- متمزجة ؟ هل تحلم . ام لا ، بزيجات بين الاجناس؟ الحق ان الولايات المتحدة تجد نفسها ، في هذا المجال ، في موقف مزيف . حذ مثل المكسيك . ان ٨٧ بالمئة من سكانها تقريبا هم من الخلاسيين . والدم الهندي عندهم اطفى من الدم الاسود ، ولكن بإمكاننا مع ذلك ان نتحدث عن الامتزاج والاختلاط هناك . والواقع ان نصف مليون نسمة من البيض والسود نزلوا على شواطئ المكسيك في المرحلة الاستعمارية . وهم اليوم من شدة الامتزاج بحيث لا تجد الا نادرا رجلا مكسيكيا من جنس اسود محض او من جنس ابيض محض . لقد خلفت الزيجات بين الاجناس امة موحده في المكسيك .

وانظر الى البرازيل . لقد كان السود فيها عبيدا حتى ١٨٦٠ ، اي الى فترة ابعد مما كانوا فسي الولايات المتحدة . ومع ذلك ، فليس فسي البرازيل اي تمييز عنصري . وليف يكون ذلك حين يكون الشعب مكونا من بيض وسود وما بين ذلك من فروف مختلفة ؟

اني لا استطيع ان اشرح السبب ، ولكن بعض العروق عرقية وعنصرية ، وبعضها الآخر ليس كذلك . وعلى رأس الجماعات العنصرية نجد البراهمانيين الهنوكيين ، يتبعهم اليهود ، ثم الالمان ، ثم التسعوب ذات اللفة الانكليزية والنيرلندية . ويبدو اننا غير قادرين على التقلب على هذه العنصرية «الاحشائية» ، في حين ان هناك شعوبا اخرى برينة منها كل البراءة . وليست الاختلافات الجسدية هي وحدها التي تقوم عقبة في وجه الزيجات . ان هناك كذلك قضية ثقافة . وقد عرفت في نييجيريا حالة امرأتين بيضاوين متزوجتين من نييجيريين . كان الاول مدير مستشفى ، وكان الآخر عميد جامعة . كان كلاهما رجلا مثقفا وذا مركز مرموق . وكذلك زوجتهما . كان أي اختلاف عنصري ، في هذه الحالة ، منسيا . فان مستوى ثقافيا متماثلا ورفيعا كان قد قضى عليه .

- اتلك هي الطريقة الوحيدة للقضاء على التمييز ؟ هل من المستحيل الوصول الى مجتمع مندمج من غير المرور بحل الزيجات بين الاجناس ؟

- نعم ، ان بقاء مجتمع ما رهن بذلك . فبالرغم من جميع الجهود التي بذلها غاندي ، لم تتخلص الهند من

نظام الطبقات . ان الهند ليست مندمجة ، بالرغم من قيام بعض الامتزازات . وفي معظم القرى الهندية يعيش رجال القبائل الاسد انحطاطا والرجال الذين «لا يمسون» في تميز نامل . فاولئك لا يمتحون الماء من الآبار التي يستعملها هؤلاء . والعكس بالعكس . وهذا أمر قبيح . والحال ان هذه هي الدرب التي يبدو ان الولايات المتحدة تسلكها ، على غرار افريقيا الجنوبية وروديسيا . وذلك اسوا انواع الانسمات التي يمكن ان تسود داخل مجتمع ما .

– ما الذي يدعوك الى القول بأن الولايات المتحدة تسلك هذه الدرب ؟

– ليس امام من يرفض الذوبان بكل نتائجه الا حل واحد : التمييز . ولكن كيف تطبقه ؟ ان السود مزروعون في قلب كل مدينة اميركية كبيرة . ولا بد لكم من ان تطردوا السود ، بالقوة ، من المدن الكبرى وان يخلي البيض الالاباما والميسيسيبي ، مثلا ، وان يشرع قانون يقول : « سنجعل جميع السود يقيمون هنا ، ولنسنا نريدهم في اي مكان اخر » يمكن ان يواجه هذا وان يكون ممكنا عمليا ؟

ومع ذلك ، فاذا مارستم التمييز وظلتم تعيشون في المدن نفسها ، فانتم ماضون نحو حالة من الحرب الاهلية الدائمة في كل مدينة اميركية كبيرة ، وهذا ما نراه يتفاقم تحت اعيننا . والحق ان اميركا لن تصمد لمثل هذه الازمة . انكم لا تستطيعون ان تتركوا ايدولوجية المسلمين السود تنتصر وان يتحقق برنامج يقول : « سنصبح عنصريين كالبيض سواء بسواء . سنرفض الزيجات مع البيض بمثل الضراوة التي ترفضون بها الزيجات مع السود . وسنشكل مجتمعا منفصلا عن مجتمعكم – يعلن عليه الحرب » .

الم يتم سباق بين هذه الايدولوجية وبين فكرة الاندماج ؟ اعود هنا الى الزوجين النيجيريين اللذين سبق ان ذكرتهما . ان هناك سباقا يجري بين الايدولوجية الانفصالية والتدابير التي من شأنها تحقيق انتصار سياسة الاندماج . فلو ان السود لم يكونوا مقيدين منذ البدء لكان مستوى حياتهم كمستوى البيض ولخف التوتر العنصري في الحال . فبقدر ما تتقارب المستويات الثقافية ، يضعف شأن الاختلافات العنصرية ، وبالقدر نفسه يسهل الدمج ، بما في ذلك اكمال صور الدمج : الزيجات بين الاجناس .

– ان الولايات المتحدة هي . بالرغم من كل شيء ، امة اسطورية الفنى ، والاميريكيون يعتبرون شعبا سخيا ...

– اسمح لي ان اقاطعك لاعلن لك موافقتي : فبالرغم من ان الاميريكيين يحبون المال ، فهم يتعجلون توزيعه بقدر ما هم جشعون في كسبه .

– اذا اقرنا ذلك ، فكيف يحدث الاتجد الولايات

المتحدة وسيلة تمكن بها الاقلية الفقيرة من المشاركة في الفنى العام ؟ ما الذي يمنعها من حل هذه المسألة ؟

– بعبارة اخرى ، لماذا يصعب جدا الحصول من الكونفرس على اعتمادات من اجل المجتمع العظيم ، ويسهل جدا الحصول على اعتمادات من اجل حرب الفيتنام ؟ الحقيقة اني غالبا ما طرحنا هذا السؤال على نفسي من غير ان اجد الجواب .

لقد كان الاغنياء ، في كل زمان ومكان ، يفضلون دائما الانفاق على التسليح اكثر من الانفاق على الرخاء والسعادة . وهم اقل احتجاجا على ضرائب الحرب منهم على الضرائب ذات الهدف الاجتماعي . انهم يؤثرون الغاء القنابل بفن على رؤوس الاجانب الذين لا يطلبون ذلك بهذا القدر ، على ان يقدموا الهدايا لمواطنيهم بشكل شعيق للسكنى وزيادة في الرواتب . وقد كان ذلك صحيحا بالنسبة الينا ايضا . ان هذا مرتبط اشد الارتباط بالطبيعة البشرية . لماذا ، اني لا اهمم السبب .

ان اميركا غنية بما فيه الكفاية لترفع فقراءها ، بلا صعوبة ، الى مستوى الرخاء القومي . بل هي تملك ما يمكنها من ان تنقذ من البؤس قسما كبيرا من البشر . فلماذا لا تفعل ذلك ؟ اعتقد اننا نمس هنا مأساة الرئيس جونسون الذي كان يود ان يظهر في التاريخ على انه الرجل الذي خلق المجتمع الكبير ، والذي يوشك ان يبقى « جونسون الحرب » . فلماذا يتابع الحرب ؟ لماذا يزداد كل يوم استفراقا فيها ؟ ولماذا يدعمه الشعب الاميركي في هذه المفامرة ؟

ان الكبرياء ليست ذات اثر ضئيل في الامر . وهذه نقطة ما زلت اصطدم بها كلما ناقشت موضوع حرب الفيتنام مع اميريكيين . انهم يقولون لي ، في اخر الامر : « نعم ، انت على حق . هذه غلطة ، وهذه فذارة ، وهذه محنة شديدة بالنسبة لنا . ولكن اميركا لم تخسر حربا قط ، وليس في نيتنا ان نبدأ هذا الطريق . » كبريساء قومية وخاصة : ان اميركا هي اللجنة علي الارض ، وتاريخها سلسلة من النجاح يجب الاتنقطع . اني امل ان تتغير هذه العقلية يوما .

وصميم القضية اننا ، نحن الانكليز ، معتادون على الهزائم . لقد وجدنا جان دارك تجاهنا ، وقد هزمتونا في حربكم الاستقلالية . وقد كان للفرنسيين واترلو وما تبعها . وتعرف معظم البلدان – باستثناء بلدكم – انها قد عاشت هزائم هائلة بل ارتكبت جرائم فظيعة ، ولكنها مع ذلك قد تغلبت عليها . واعتقد ان نقطة الانطلاق هذه اسلم .

سوف يبقى ديفول رجلا عظيما في التاريخ ، خادما

كبيرا للانسانية لانه اخرج فرنسا من حرب الجزائر . وكثير من الاميريكيين يعتقدون بانكم اذا اعترفتم باخطائكم في الفيتنام ، فان نفوذكم سيضعف بشكل غير

– التتمة على الصفحة ٦١ –

حرب الفيتنام و « الهبي »

- تتمة المنشور على الصفحة ١١ -

محتمل ، وان العالم لن يكن لكم بعد ذلك الا الاحتقار . والعكس هو الصحيح . ليس ثمة الا عرفان نحو فرنسا لانها حررت العالم من الكابوس الجزائري . فان حربا جزائرية او حربا فيتنامية ، في العالم الراهن ، ليستا بعد قضايا محلية ، بل هما تشكلان تهديدا للجنس البشري .

- نستطيع حقا ان نشبه الجزائر بفيتنام ؟ لقد كانت الجزائر ، بعد كل حساب ، مستعمرة فرنسية قبل ان تعتبر جزءا لا يتجزأ من فرنسا - من قبل الفرنسيين . اما الفيتنام فليست مستعمرة اميركية .

- حقا ؟ انني لا اعتقد انكم قد اودتم ان تجعلوا منها مستعمرة . لقد برهنت الولايات المتحدة عن تجردها في هذا الميدان حين منحت الفيليبين الاستقلال . وانا لا اعتقد ان اميركا كانت تريد في الاصل استعمار الفيتنام . ولكن الامر قد تم عمليا . لقد تصرفتم بالشكل الذي مكنكم من ان تجعلوا منها مستعمرة - يقوم فيها الجنود معصم العمرين . انني افهم ان يعاني الفرنسيون من مغادرة الجزائر : فقد كان لهم فيها مليون معمر مرتبطين بوطنهم الجديد . ولكن ليس في الفيتنام معمررون اميركيون . وستجد اميركا صعوبة اقل مما وجد ديفول حين فعل ما فعل . واذن ، فانا مصر على سلامة المقارنة .

- ولكن الراي العام الاميركي مقتنع اجمالا باننا في الفيتنام نناضل ضد العدوان الشيوعي ، واننا اذا تركنا الشيوعية تستولي على الفيتنام ، فيسأني عما قريب دور بحلم لينين انما هو الشعب الاميركي !

- صحيح ان لينين كان قد كون الحلم ، بعد ان تكسب الشيوعية روسيا ، باقامة تحالف كبير مع الشعوب الملونة والمستعمرة ليستأصل الاقلية الراسمالية من العالم . والطريف ان الشعب الوحيد الذي ما يزال يؤمن بحلم لينين انما هو الشعب الاميركي !

لقد خيب اليوغسلافيون ثم الصينيون الروس خيبة عظيمة . واعتقادي اننا جميعا قوميون اولا ، ثم شيوعيون او رأسماليون . ان يوغوسلافيا وروسيا وفيتنام الشمالية وجبهة التحرير الوطنية لفيتنام الجنوبية والصين ومنغوليا الخارجية تقدم لنا كل يوم الدليل على ذلك . ان ما تحاربونه في الفيتنام انما هو القومية ، لا الشيوعية . وان ثلاثة ارباع البشر لا يهتمون كثيرا بالشيوعية او بالرأسمالية . فهاتان الكلمتان لا تعنيان لهم شيئا . فاي فرق ، بالنسبة لفلان فيتنامي ، ان يعيش تحت حكم رأسمالي او شيوعي ؟ ان كل ما يهمه هو ان تكون هذه الحكومة سالحة اوسيةة .

- لنفرض ان تحليلك صحيح ، اليس لنا ما نخشاه من القومية الصينية او الفيتنامية ؟ وما نحاربه في فيتنام

الجنوبية ، اذا لم توجد هناك شيوعية ، اليس هو نزعة التوسع الصيني ؟

- لتأمل الامر قليلا . ان اميركا تستنفد قواها في الفيتنام حيث لم تجازف الصين حتى الآن بجندي واحد . ان الصين تقاوم الولايات المتحدة بواسطة الفيتناميين . ونحن نكف عن ان ننظر الى ابعد من انوفنا بمجرد ان يتعلق الامر بالصين . اما الفيتناميون فيدركون ، هم ، انهم يقاتلون من اجل ملك الصين . ان بلدا اسويبا لا يدخل التاريخ ، في نظر الاميركيين ، الا يوم يصبح شيوعيا . وعلى هذا الاساس يبدأ التاريخ الصيني عام ١٩٤٩ ، والتاريخ الفيتنامي يوم أصبحت الفيتنام شيوعية - لقد نسيت العام . ولكن انقضى الفاعل على الفيتنام وهي امة ، وانقضى عليها الفاعل وقضيتها السياسية الكبرى هي ان تتجنب السيطرة الصينية .

اعتقدون ان الفيتناميين قد نسوا ذلك ؟ اظن ان الفيتنام اذا توحدت ، فسوف تتوحد بحكم شيوعي، ولكنها الشيوعية على طراز تيتو . وسوف تشكل فيتنام هو شي منه ، بهذا الوضع ، حاجزا امام التوسع الصيني في جنوب شرق اسيا لا يقل صلابة عن حاجز يوغسلافيا تيتو امام التوسع الروسي في اوربا .

انني لا احب القومية ، ولكني ارى فيها احدى القوى التي تقود العالم . وحيثما وقع صراع داخلي بين القومية وبين ايديولوجية ما ، فان القومية هي التي تنتصر .

صدر هذا الشهر

رحلة عبر المراهقة

تأليف دوديس أودلم

ترجمة الدكتور فاخر عاقل

اول كتاب في اللغة العربية يدرس المراهقة والمراهقين على ضوء مبادئ علم النفس .

كتاب مفيد في كل منزل .

منشورات نزار قباني

ص.ب. ٦٢٥

بيروت

— وإذا انسحبت اميركا من الفيتنام ، الا يكون ذلك بدء سياسة التخلي ؛ وهل نسينا سياسة « التخلي » المجنونة لاعوام ١٩٣٠ ؟

— كنت وما ازال مذهولا بالبشر الذي خلفه نفيصل تشميرلن بعد وفاته . اننا نسمع غالبا ، بصدد اي شيء ، عبارة : « هذه سياسة على طريقة تشميرلن ، ولنسنا راغبين بها . » ومن المهم تمييز كل حالة خاصة . فانطوني ايدن مثلا ارتكب خطأ فاحشا تجاه عبد الناصر . لقد خشي ان « يتخلي » امامه ، فكانت كارثة السويس عام ١٩٥٦ . ولكن جادين : فان عبد الناصر ليس هو هتلر !

ثم انه ليس ثمة في رأيي « عالم شيوعي » يقارن بما كان يمكن ان يكون « كتلة المحور » في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية . وانا لا اعتقد ان الروس يسعون الى محاربة الولايات المتحدة ، بل اذهب الى القول انهم يسعون الى تجنبها ، في حين ان هتلر كان يريد حربه . فالموقف مختلف . بل يمكن القول انه منقلب راسا على عقب . فالمسألة هي معرفة الحد الذي يمكن ان تلبفه روسيا والصين في سياسة «التخلي» التي تتبعانها تجاه الولايات المتحدة . وليس هذا يعني ان اميركا ترغب في الحرب ، ولكن هنا بالذات يكمن الخطر . فكم قد سمعت من الاميركيين من يقول بلهجة مكتفية : « اوه ! لقد ثبت الآن ان روسيا والصين لن يكون لهما رد فعل . من ذا الذي كان يعتقد ، منذ عامين فقط ، اننا سستمكن من قصف فيتنام الشمالية كما نفعل الآن من غير ان يجز ذلك علينا اية عاقبة؟ » ولكن بقاء روسيا والصين سلبيتين حتى الآن لا يعني انهما مستعدتان لتحمل كل شيء . سيكون ذلك ارتكابا للخطأ نفسه الذي ارتكبه المانيا قبل كل من الحربين الماضيتين . فهما قد اندلعتا ، في نهاية الامر ، لان المسكر المعادي لم يكن يستطيع بعد ان يتراجع امام المانيا . « اننا لا نستطيع ان ندع الالمان يحرزون انتصارا آخر ، والا فلن يقفوا » . هذا ما كان يقال عام ١٩١٤ و عام ١٩٣٩ . . . وانا اخشى ان تقترب اميركا الآن من اللحظة التي تمضي فيها اكثر مما ينبغي تجاه الروس والصينيين . ان الصينيين كالعرب : انهم يقذفون النار واللهب كلاما ، ولكنهم حذرون جدا في الواقع . غير انهم قد يضطرون الى القتال .

— ولكن كيف تستطيع اميركا ان تسحب من هذه الحرب ، اذا افترضنا انها تريدها ؟ كيف يمكننا ان نتخلي عن التزامنا بادنى ثمن ؟

— هذا بالطبع سؤال هام . انني من انصار وقف القصف بلا قيد ولا شرط . وهذا ما يصعب قبوله لدى ادارة جونسون التي تعتبر هذا هدية بلا مقابل . ولكنني اؤكد ان ذلك سيعود على الاميركيين بالكسب : سيكسبون امكانية اخراج الولايات المتحدة من الحرب . والمرحلة الثانية : تكتفي القوات الاميركية بان تبقى في مواقعها من غير ان تسعى الى مد سلطتها على اجزاء اخرى من

الاراضي . والمرحلة الثالثة : التطبيق الكامل لاتفاقيات ١٩٥٤ ، مهما كانت نتائجها . ان دالاس لم يكن راغبا في تطبيقها ، لانه كان يعتقد ، وهو على حق ، بان الشيوعيين سينتصرون في حال اجراء انتخابات حرة . تشخيص صحيح ، وسياسة رديئة ! . . .

— هل تعتقد اذن بان حكومة فيتنام الشمالية ستكون متعاونة بما فيه الكفاية لتسمح بقيام انتخابات حرة في المناطق التي تشرف عليها ؟

— انني على اي حال لا ارى كيف يمكن ان تجري انتخابات حرة ، ايا كانت ، في الفيتنام . فليس من اليسير تنظيم انتخابات في بلد تقوم فيه الحرب ، او على الاقل في مناطق القتال . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، ليس في الفيتنام تقاليد ديمقراطية . ولكن ما عدد البلدان التي يوجد فيها تقاليد ديمقراطية ؟ يجب على اي حال محاولة القيام بالتجربة . واعتقد ان هو شيء منه سينتخب في فيتنام بقسميها . وحين تتحقق وحدة القسمين ، يصبحان افضل حصن ضد التوسع الصيني . — واي مصير ينتظر الذين تورطوا مع الاميركيين ؟ اترانا لن نشهد مذبحه معمرة ، في جزء كبير من البلاد ، حين يشرف عليها الشيوعيون ؟

— ان مصلحة الشيوعيين ستكون على العكس في بناء وحدة وطنية على قاعدة عريضة من المصالحة . وهم اذا لجأوا اليوم الى الارهاب ، فلأن الذين يقتلونهم هم عملاء الاميركيين ، ولانهم خصومهم في المعركة . اما حين تنتهي الحرب ويذهب الاميركيون ، فكل شيء سيتغير . من المؤكد ان عددا طيبا من الضباط الجنوبيين سيجد من مصلحته مغادرة بلاده — كالجنرال كي وكل طفمته ، على سبيل المثال . يجب عليكم ان تتقوهم السى هوليوود وتجداوا لهم المساكن . ولكن البوذيين سيتفاهمون بكل تأكيد مع الشيوعيين — ومعظم سكان الفيتنام بوذيون . ولن تستطيع اية حكومة ان تبقى في الفيتنام من غير موافقة البوذيين ، وهوشي مينه يعرف ذلك اكثر من اي شخص آخر .

— هل بإمكانك ، وقد زرت اميركا عدة مرات ، ان تقيم التأثير الذي تخلفه حرب الفيتنام في الولايات المتحدة نفسها ؟

— منذ عامين ، كان هذا التأثير ما يزال معدوما تقريبا . ثم ان الشعب الاميركي كان يفخر بان يستطيع شن حرب من غير ان تتأثر حياته اليوم أي تأثر بها . اما اليوم ، فان تكاليف الحرب تثقل على المحافظ الاميركية وعلى الاسر الاميركية . فلا الصقور ولا الحمام تعيش اليوم بعد في الزهو والرخاء . و « الشبان » انفسهم لا يتقبلون الوضع تقبلا حسنا . ان لنا ، انا وزوجتي ، حفيدا اميركا يقترب من سن الاستدعاء ، وقد اصبحت حرب الفيتنام كابوس الطلبة الاكبر . فما الذي يمليه عليهم ضميرهم ؟ هل عليهم ان يخضعوا للاستدعاء ، ام

ان عليهم ان يرفضوا الخدمة العسكرية ويتحملوا نتائج رفضهم ؟ ذلك هو الخيار الممزق الذي يواجهه المراهقون . وقد فاقم ثورتهم على « طراز الحياة الاميركي » . وقد كان مقدرا لهذه الثورة ان تحدث حتى من غير الحرب ، ولكن الحرب جعلت منها مسألة اساسية .

ثم ان هناك الاطفال . اننا نحن امام صبية في السادسة من عمرها كانت تثرثر معنا بصدد حرب الفيتنام وما يحدث هناك . وكانت تعيش الاحداث على شاشة التلفزيون كما لو انها تشاهد مسلسلا . وقد ادھشني بل صدمني حقا ان يكون لطفلة في هذا العمر مثل هذا الاتصال المباشر مع الحرب . وانا اخشى ان يبلد التلفزيون حس الاطفال تجاه الحرب : فان كل ما يحدث على الشاشة الصغيرة يبدو لهم « خداعا » و « بلغا » . وهم يتابعون الحرب كما يتابعون فيلما تطلق فيه النار الاصطناعية ولا يموت فيه الشرير حقا .

– الا تخشى ان يؤدي التوتر المعنوي الذي يخضع له السكان الاميركيون بسبب حرب الفيتنام الى عهد جديد من « الكارثية » ؟

– لم نبلغ هذا الحد ، حتى الآن . فالاميركيون يبدون وهم يعبرون عن آرائهم بكل حرية . ولكني أعتقد ان الحرب لن تلبث طويلا حتى تصبح على مفترق طرق : فاما ان ينمو الجهد العسكري الاميركي نموا كئيفا ، وهذا ما يوشك ان يقود الى جعل الحكم فاشيا ، واما ان نشاهد انقلابا في السياسة شبيها بذلك الذي احدثه ديفول في الجزائر ، يعني انكم في هذه الحالة ستعترفون باخطائكم وتتخلون عن سياستكم .

اما اذا سلكت اميركا طريق الحرب ، واذا استمر التصعيد ، فيخشى حقا من انبعاث للمكارثية . وتحتاج الولايات المتحدة ، حتى في الظروف العادية ، الى قدر من الشجاعة يفوق ما تحتاجه بلاد اوربا الغربية للدفاع عن نظريات الاقليات .

اننا نتذكر ، اذا استعدنا الماضي ، ان « الابعاء الحجاج » كانوا مفرطين في عدم تسامحهم . وانا أفكر احيانا هنا بان اكتلنا قد دلت على حكمة عظيمة . ففي القرن السابع عشر ، ارسلت الى مستعمراتها الاميركية جميع هؤلاء التعصبين ، كما فعلت تماما بالجناحين عندها . واجتاز البيوريتانيون الاطلنطيك مصممين على ان يمارسوا ، بطريقتهم ، الدين الذي اختاروه . ولكن حين ظهر « الكويكرز » بعد ذلك بقليل ، عذبوهم بالقسوة نفسها التي كانت الكنيسة الانفليكانية قد عذبتهم بها . ونستطيع ان نكتشف هذه النزعة الطهرية في تاريخ الولايات المتحدة كله . وحتى في العهد الفكتوري ، كان الاميركيون اقل تساهلا من الانكليز . وراى الاكثريه اقل وزنا على الفرد العزول عندكم مما هو عندنا .

وانا اعجب لهذه العبارات : « المعادي لاميركا » ! لجنة « النشاطات المعادية لاميركا » ! ان « لجنة للنشاطات

المعادية لبريطانيا » ستكون شيئا مستحيلا في برلماننا : فذلك يشير الضحك اكثر مما ينبغي ! وهل تتصورون « لجنة لقمع النشاطات المعادية لفرنسا » ؟ لقد ساء الوضع على مر السنين . وفي الفترة التي كنت اكتشف فيها اميركا للمرة الاولى ، كانت اميركا امة بلا عقد . أما اليوم ، فهي تخشى الاخطار التي قد تأتيها من الخارج . واذا تفاقمت الحرب ، فيمكن ان يؤدي ذلك الى قيود على حرية الرأي .

– اعتقد انك كنت مهتما جدا باكتشاف ظاهرة « الهبي » في الولايات المتحدة ؟

– ليست معرفتي بهذه الحركة الا سطحية بالطبع ، ومع ذلك فهناك نقطة قد استلفتت نظري . ليس « الهبيون » ابناء فقراء ، بل هم اولاد مدلون . انهم اشخاص قد اكلوا من الحلوى ما اثار لديهم الفتيان ، فهم لا يشبهون في ذلك اولئك الذين يأكلون الحلوى للمرة الاولى ، ويطلبون المزيد منها . ولا يمكننا ، وهم كذلك ، ان نشبههم بـ « المودز » او بـ « الروكرز » الانكليز ، المتحدرين عموما من الاسر العاملة التي لم تعرف المال الا حديثا . ان « المودز » و « الروكرز » لا يريدون كسب المال الا لينفقوه على هواياتهم بالملابس والدراجات النارية . اما « الهبيون » فيرتبطون بمرحلة اكثر تقدما من مراحل التطور الرأسمالي . انهم يظهرون رد فعل حماسيا ضد « طراز الحياة الاميركي » . وهم يرفضون ان يعملوا ، ويكتفون بالوقوف حذاء جدران المدرسة او الكلية ، وينادون قائلين : « سوف نتناول المخدرات ، وسنعيش من الاحسان العام ، وسنستعطي . » وهذه نظرية ماو تسي تونغ ، في احدى جوانبها .

كيف ذلك ؟ الحق ان خصوم ماو هم التكنوقراطيون ، اولئك الذين يريدون ان يعصروا الصين وان يجعلوا منها بلدا متقدما . اما ما يهم ماو ، في الدرجة الاولى ، فهي الثورة من اجل الثورة . وقد شجع الشبان الصينيين على ان يتركوا عملهم ويوقفوا دروسهم لينزلوا الى الشارع . هناك طبعا اختلاف : وهو ان ماو يؤمن بالعنف ، في حين ان الهبيين يؤمنون بالحب واللاعنف .

– ولكن هل لدى الهبيين اي شيء ذي قيمة يقولونه او يقدمونه لاميركا ؟

– اعتقد ان نعم . يحق لذويهم البورجوازيين الذين يعملون بقسوة ان يقولوا لهم : « ربما كان صحيحا ان طريقتنا في العيش ومثلنا الاعلى ليست لهما قيمة كبيرة . ولكن انتم ، ماذا تفعلون بحياتكم ؟ ربما كنتم على حق في ادانتنا ، ولكن ما هو حكم البديل ؟ اي نوع جديد من طراز الحياة تنوون ان تبنوا ؟ » ولن يصل الهبيون الى شيء اذا لم يكن لديهم جواب حاضر . اتراهم سيحصلون يوما على جواب ؟

ان هناك بعض علامات تبدو لي مشجعة . هناك مثلا « الكهوف » ، واصحابها ، على ما قيل لي ، اشخاص

يحاولون ان يحصلوا للهيبيين على وظائف تنسجم مع وساوسهم الضميرية . وقد وجد بعض الهيبيين اعمالا في الريف : فهم يزرعون الخضار ، ويصنعون سلعا صغيره . فاذا قبلوا ، والحالة هذه ، ان يصبحوا اعضاء اسوياء ، عملاء انتاج في مجتمع يدخلون فيه روحا جديدة ، مجتمع ليس المال فيه هو الهدف الاكبر ، فانهم يستطيعون ان يمنحوا اميركا اسلوب حياة جديدا .

– غالبا ما يقال بان تقدم التكنولوجيا سيسمح عما قريب بالتخفيف من عبء العمل عن معظم البشر . وستكون المشكلة الكبرى هي كيف يقضي الانسان اوقات فراغه . فلعل بالامكان آنذاك تطبيق الفلسفة « الهبية » : سيقضي الانسان نهاره جالسا مع اصحابه فسي حلقة يدخلون المارجوانا ...

– لا . لا اعتقد ان ذلك سيكفي الانسان . ان الانسان بحاجة الى تحقيق ذاته باعمال اكثر ايجابية . فلنعد الى الهند . فلو كان كل هندي ينعم بمستوى للحياة شبيه بمستوى البورجوازية الاميركية ، فانه لن يتساءل ما عساه يفعل . انه لن يبقى جالسا على الارض يتناول المخدرات . بل سيكرس افضل ملكاته لممارسة حس واحد – حس التأمل – الذي لم يعد موجودا تقريبا في الغرب . ان التأمل هو عمل ايجابي ، ولم يكن ناس القرون الوسطى ينقصون قدره . لقد كان القديسون والرهبان وآخرون ايضا ، عاطلين عن العمل على نحو ما ، ولكن حس الروحي عندهم لم يكن معطلا .

ان الغرب ، في القرون الاخيرة ، قد اولى الحياة التأملية ظهرا . وقد جعلنا اكتساب الرفاه والترفاغنياء ماديا . اما روحيا ، فنحن فقراء .

وأعتقد ان الوقت قد حان للعودة الى الروحي ، الى الدين . انني لا اتحدث عن الاشكال الخارجية مثل حضور القداس وانشاد بعض الصلوات والادعية . فمنذ اكثر من قرنين افرغ الدين المنظم من كل محتوى ، ولما كنا قد انصرفنا عن الممارسة ، فقد التمسنا معوضات

ايديولوجية او سياسية ، ولكن هذه المعوضات ابقتنا على جوعنا . وانا لا اعتقد ان للايديولوجيات الحالية مستقبلا . انني اعني بالدين شكله الداخلي الروحي . ان الحس الديني – خلافا للمواهب الفنية او العلمية او التكنيكية – يرسو في قلب كل كائن بشري . وعلى الانسان ان يعرف كيف يعثر عليه من جديد في قلبه ، لانه يبقى عموما خبيثا ، الا في الازمات الكبرى .

لقد عثرت مرة على صحيفة « هبية » في سان فرانسيسكو ، فأدهشتني لهجتها ومحتواها الديني ، لا بالمعنى التقليدي ، بل بأوسع المعاني . ان كلمتهم الاولى هي « الحب » ، والرب هو « محبة » . فكروا بالمسيحيين الاوائل ، وتذكروا الفقرات الاولى من « اعمال الرسل » . لقد بدا الرسل ، يوم عيد العنصرة ، وكانهم قد أصيبوا بالجنون : ذلك انهم قد تلقوا هبة اللغات ... كان الناس يقولون : « الحقيقة انهم قد شربوا فثملوا ! » فأجابهم بطرس : « ان الساعة هي التاسعة صباحا ، وحتى لو كنا سكارى عرابيد ، فهذه ساعة نادرا ما يسكر فيها المرء » . وكان أن تخلى جميع الرسل عن أعمالهم . فمن كان يملك منهم شيئا باعه ، ووزعوا ثمره البيع على المجموع . وهذا أشبه « بالهبي » .

وبعد ذلك ، تطور المسيحيون ، في العهد الذي فرضوا فيه دينهم على الامبراطورية الرومانية ، بين القرنين الثاني والثالث . كانوا ما يزالون مسيحيين ، ولكنهم كانوا قد فقدوا هبة اللغات ، وكفوا عن ان يعيشوا من غير ان يعملوا . لقد مروا بمرحلة « هبية » ، ولكنهم في نهاية المطاف اقاموا مجتمعا جديدا وايجابيا اكثر انسجاما مع العالم الذي نعيش فيه . ولو كنا قد عشنا في عهدود المسيحيين الاول ، لكنا قلنا ونحن نراهم يفعلون ذلك : « انهم « هبيون » حقيقيون . ولن يؤدي ذلك الى شيء » . وكنا نكون على خطأ في هذا الحكم .

ترجمة « الآداب »

مذكرات طه حسين

صدر حديثا

اروع ما كتبه الاديب العربي الكبير
عن حياته بين الازهر وباريس ...

- الفلسفة المفسدة .. والاكل بالشوكة والسكينة !
- استاذ جامعي بخمسة جنيهات !
- قاضي الغرام بين الفتية المصريين !
- الصوت العذب ...
- حياة جديدة في الحي اللاتيني ..
- قصة حبي ...

- على باب الازهر
- كيف سقطت في امتحان العالية !
- اثر اختفاء المرأة ...
- عندما خفق القلب لصوت الانسة مي ...
- استاذي يدعو علي بالشقاء !
- كيف تعلمت الفرنسية لاسافر الى باريس

المذكرات التي تنشر لأول مرة في كتاب يصدر عن دار الآداب – بيروت